جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

رسالة ماجستير

شعر إبراهيم نجا " دراسة فنية "

إعداد

خالد خليفة عبد العظيم خلاف

إشراف

أ.د / أحمد كمال زكي

أ.د/ مصطفى عبد الشافي الشورى

تقديـــم

لقد حظي الشعر العربي الحديث باهتمام كبير من الباحثين والمشتغلين بالدراسات الأدبية، ولكن هذا الاهتمام البالغ كان منصباً – فى معظمه– على الأعلام من الشعراء النابهين دون غيرهم. ولا شك أن هناك قطاعاً عريضاً من الأدباء والشعراء الذين لم يرمقهم الباحثون بنظرة ولو كانت قاسية، ولم يلتفت إليهم إلا من وجد نفسه مدفوعاً إليهم بدافع الإحصاء أو التأريخ لمرحلة ما من مراحل الأدب الحديث.

والحقيقة أن حقل الدراسات الأدبية بحاجة إلى الكثير من الدراسات حول هؤلاء الأدباء وحول فنهم؛ فلا شك أنهم خلَّفوا لنا إرثاً عظيماً من الأدب الرفيع الذى ما زال الحكم عليه قائماً، ودراسته تعد إضافة جديدة للدرس الأدبى .

ولقد فطن الأستاذ العقاد لهذه الحقيقة، ووضح ذلك فى مقدمة كتاب : المختار من الشعر الحديث المطبوع فى المجلس الأعلى للفنون والآداب سنة 1957 ، فقال : "إن الزمن قد فرغ من الحكم على شعر السلف وكذلك شعر الأعلام النابهين من نوابغ العصر الحديث، ولكن الحكم على الشعر المقبل باق معلَّق على الغد، يبتدئه من ينبه إليه، ويعرف له حظه من الجودة ومكانه بين أدب الماضى وأدب الحاضر، وأدب المستقبل". لذلك كان من الضرورى أن نلتفت إلى هذا الشعر، أو بالأحرى نلتفت إلى أصحابه من الشعراء المغمورين الذين لم يأخذوا حظهم من الاهتمام الأدبى.

وشاعرنا الذى نحن بصدد دراسة شعره "إبراهيم نجا" ، واحد من هؤلاء الذين عانوا من ضروب الإهمال والقسوة؛ فلم تسلط عليه الأضواء، ولم يحظ بالقدر اللائق من اهتمام النقاد الباحثين، فعاش شطراً من حياته مغموراً فى منطقة الظل بعيداً عن أضواء الشهرة، ولم يعرف إبداعه وفنه إلا المقربون منه حتى تثنى له الاتصال ببعض الأعلام أمثال: الدكتور "طه حسين" الذى فسح له المجال لينشر بعض أعماله فى "الكاتب المصرى" ، والأستاذ "الزيات" الذى نشر له العديد من القصائد فى "الرسالة" ؛ فالتفت إليه بعض النقاد وتناولوا بعض النماذج من شعره فى الدراسات النقدية الخاصة بهذه الفترة. لكن ما تناوله النقاد من شعر"نجا" لا يرقى لدراسة نقدية تحليلية لشعره ، على الرغم أنه صاحب موهبة حقيقية، وطاقة شعرية طيبة.. تميز شعره بحسن الديباجة وجمال التصوير، وإشراق اللفظ، وحلاوة المعنى، وعذوبة الجرس.. إنه شاعر رومانسى احتفظ بروحه الرومانسية الحالمة فى العصرالذى كانت تحتضر فيه الرومانسية أمام تيار الواقعية الجارف، فقد وقف فى هذا الميدان وحده بعد وفاة "على محمود طه" و"إبراهيم ناجى".

لقد وجدت فى شعر "نجا" صورة صادقة لروحه؛ فالصدق الفنى والشعورى سمة غالبة على شعره، إلى جانب ما تتميز به لغته من رقة وعذوبة تشعر فيها بجمال لغته وأسلوبه؛ لذا كانت دراسة شعر "إبراهيم نجا" إضافة جديدة وطيبة للدراسات الأدبية من ناحية، وتعد من ناحية أخرى إنصافاً لشاعر موهوب حرم الكثير من حقه كأديب وشاعر مبدع، لم تعطه الحياة الأدبية ما يستحقه من الرعاية والاهتمام.

والجدير بالذكر فى هذا المقام أن دراسة شعر "نجا" لم تكن بالأمر اليسير الهين؛ لأنه – كما وضحت– شاعر مغمور لم يلتفت إليه إلا القليل من النقاد؛ ولعل ذلك يرجع إلى تأخر نجا فى إصدار أول ديوان له الذى صدر فى 1962 ، أى قبل وفاته بسبع سنوات على الرغم أنه بدأ ينشر أشعاره فى الدوريات منذ 1937 ، فلا شك أنه يصعب على الناقد أن يتتبع شعره فى الدوريات على مدار خمسة وعشرين عاما ؛ مما أدى إلى قلة الدراسات التى تعرضت لشعر "نجا" بالتحليل والنقد.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وجدتنى فى حاجة ماسة إلى جمع أشعاره المنشورة فى الدوريات منذ بدأ ينشر وحتى توفى فى 1969 ؛ لأن هناك قصائد عديدة لم يجمعها فى الدواوين الأربعة المطبوعة، أو حتى فى المخطوط، فضلاً عن صعوبة الحصول على الدواوين نفسها؛ لأنها صدرت منذ سنوات بعيدة ولم يتم إعادة نشرها. ولولا أننى قصدت أبناء الشاعر وأقاربه فى "دمنهور" و"الاسكندرية" و"القاهرة" ، ما استطعت الحصول على شىء مما يتصل بالشاعر وفنه.

لقد كانت رحلة البحث عن شعر "نجا" وجمعه رحلة شاقة للغاية، لقد عانيت كثيراً حتى استطعت جمع أشعاره.. ما نشر منها وما لم ينشر، وكذلك معرفة الكثير من الأمور المتعلقة بحياته والتى تلعب دوراً كبيراً فى تحليل شعره؛ حتى تكون الدراسة أكثر دقة وأعظم قيمة.

وقد بدأت دراستى هذه "شعر إبراهيم نجا دراسة فنية" بتمهيد تناولت فيه التعريف بهذا الشاعر من حيث مولده ونشأته، ومراحل حياته المختلفة، ووضحت المصادر التى أصقلت موهبة الشعر عنده مثل: تعليمه وثقافته "القديمة والحديثة" ، والتجارب التى اعتمد عليها كالحب والغربة، وبينت أهم العوامل المؤثرة فى شعره مثل: نشأته الدينية .

وتناولت الباب الأول من الدراسة الخاص بالدراسة الموضوعية .وقسمته إلىخمسة فصول ..هى على الترتيب :

الفصل الأول : شعر الحب والغزل ، وضحت فيه حبه لزوجه وللشاعرة الفلسطينية "فدوى طوقان" والرسائل المتبادلة بينهما.

الفصل الثانى: شعر الغربة والطبيعة ،بينت فيه اغتراب الشاعر وأثره فى حياته وشعره. ووضحت فيه نزعته الرومانسية فى الهروب إلى الطبيعة والاستغراق فيها،وقد آثرت جمع الغربة والطبيعة في فصل واحد ؛لأن الطبيعة بكل مظاهرها كانت رفيق الشاعر الحنون في غربته القاسية .

الفصل الثالث : شعر القضايا الوطنية ، وتناولت فيه الشعر الاجتماعى حيث الأسرة والمجتمع ، والشعر الوطنى والأناشيد الوطنية .

الفصل الرابع : الشعر الدينى، وفيه وضحت قصائده الدينية ذات النزعة الصوفية , والمدائح النبوية والأدعية .

الفصل الخامس : شعر الرثاء، وفيه رثاء الأصدقاء و الشعراء , ورثاء الأعلام والمشاهير.

وتناولت الباب الثانى الخاص بالدراسة الفنية،وقسمته إلى ثلاثة فصول..هى على الترتيب:

الفصل الأول : اللغة والأسلوب، وتضمن المعجم اللغوي ، والظواهر الأسلوبية ،وكذلك الأساليب والخبرية الانشائية .

الفصل الثانى: الصورة الفنية، وتناولت فيه مصادر الصورة ،حيث الطبيعة "المتحركة والصامتة" والخيال، ووضحت أنواع الصورة الفنية،وكذلك خصائص الصورة وما تميزت به.

الفصل الثالث: الموسيقى، وضحت فيه الموسيقى الخارجية حيث الوزن والقافية، والموسيقى الداخلية وما تضمنته من محسنات بديعية.

وأنهيت دراستى بخاتمة وضحت فيها أبرز نتائج هذه الدراسة، ومكانة هذا الموضوع فى الحياة الأدبية، وبعض أراء النقاد فى شعر "إبراهيم نجا".ثم أوردت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة .

وأرجو أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة للدراسات الأدبية الحديثة –خاصة أنها تتناول موضوعاً جديداً على الساحة الأدبية – وأن تكون فاتحة خير لدراسات أخرى تضع هذا الشاعر موضعه، وتسلط عليه الأضواء التى لم ينعم بها فى حياته.

والله من وراء القصد

خالد خليفة عبد العظيم

الباب الأول

الدراسة الموضوعية

الفصل الأول: **شعر الحب والغزل.**

الفصل الثاني: **شعر الغربة و الطبيعة.**

الفصل الثالث: **شعر القضايا الوطنية.**

الفصل الرابع : **الشعر الديني.**

الفصل الخامس: **شعر الرثاء.**

الفصل الأول

شعر الحب والغزل

أولاً : بين " فدوى طوقان " و " إبراهيم نجا "

أ) رسائله إليها

ب) رسائلها إليه

ثانياً : الزوج في شعر نجا

إن الحب من أبرز القضايا الإنسانية التى يثيرها ديوان الشعر العربى، وهو –بوصفه موضوعاً شعرياً– يعد الأعظم والأكبر فى شعر العرب، ولا شك أن شعراء العرب أكثر الشعراء تقديراً لموضوع الحب، وتقديساً لتلك العاطفة الحارة. وتاريخ الشعر العربي – في مراحله

المختلفة- يحفل بالكثير من النماذج التى قدست الحب، ورفعت لواء هذه العاطفة عالياً، فمنهم من ظل يتغنى بأشواق الحب والحنين، ويوقع أنغام الهوى ويهيم بألحانه حتى تحطمت قيثارته على صخرة الموت، ومنهم من ظل مصلوباً على صليب الحب، يلفح الهجر قلبه ، ويحرق الصد مهجته، وظل يتغلب على هجير الشوق حتى طوى الضنى عمره، وأودت رياح القطيعة بزهرة حياته.

وإن كان المتقدمون من شعراء العربية قد خلفوا لنا إرثاً عظيما وتراثاً مجيداً من هذا الفن الرفيع؛ فإن المحدثين أو المتأخرين منهم قد عزفوا أعذب الألحان ، ووقعوا أجمل الأنغام على وتر الحب وأخص الرومانسيين بمزيد من الثناء على ما قدموه من رائع القصيد، وعلى ما أثروا به الحياة الأدبية من أشعار تسمو بالروح إلى عالم نورانى من المثل العليا، والقيم النبيلة، فأحمد لهم إثراء هذا الموضوع بالنماذج الخالدة من أنغام الحب التى تفيض طهارة، فأعادوا لهذه العاطفة قدسيتها التى كانت تحفل بها عند عظماء بنى أمية من العذريين "لذلك تبدو عاطفة الحب عند هؤلاء الوجدانين، وكأنها تجربة روحية ترتبط بمعانى الطهارة والعفة والصمود أمام الشهوات، ويسمو الشاعر بخياله إلى عالم نورانى من الأحلام والأوهام.. متخذاً من حبه مجرد إلهام لموهبته وحافزاً ليرقى إلى ما يستطيع من رحاب الروح والفن"[1]

وشاعرنا الذي نحن بصدده نموذج طيب لهؤلاء الوجدانيين الذين وهبوا الحب حياتهم ، فالحب أبرز ظاهرة فى شعره، فهو المعانى الجميلة التى ألهمته الكثير من رائع شعره، وهو أعظم تجربة فى حياته والتى كانت نبع إلهامه، ومصدراً هاماً من مصادر شعره - كما بينت ذلك من ذي قبل- فيقول "تجا " :وتجاربي تكاد لا تنبع إلا من تجربتين كبيرتين: الحب والغربة .. وقد عرفت الحب فى وقت مبكرة جداً"[2] .

ويؤكد ذلك فى قصيدة " بلا أمل " ، فيقول :

عرفت الهوى طفلاً صغيراً ويافعاً ∴ وصاحبته حتى استقرَّ بداخلي [3]

ويقول في قصيدة "ما دمت أنتِ معى" :

كنَّا معاً طفلين لا ندرى الهوى ∴ إلا حنيناً مبهمَ الأصداءِ

ومضى الزمانُ بنا يصوغ شبابَنا ∴ فى قدرةٍ وبراعةٍ وخفاءِ

---

(1) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر- د. عبد القادر القط- صـ289-دار النهضة العربية- بيروت 19814م.

(2) ديوان "أيام من عمري" المقدمة صـ10.

(3) ديوان" أيام من عمري" صـ97 .

حتى انتفضتُ على صبابةِ آدم ∴ وأفقتِ أنتِ على هوى حوَّاءِ

فعرفتُ أن الحبَ أشعل فى دمى ∴ لهباً وشبَّ النارَ في أحنائي [1]

فشاعرنا عرف الحب صغيراً، وظل يعزف على وتر الحب، فوقَّع ألحاناً عذبة وأنغاماً بارعة، وانتقل بحبه من فترة لأخرى ومن حب إلى حب ، فقضى حياته كلها محباً، لا يعيش إلا للحب ولا يحيا إلا بالحب ، ولعله يذكر ذلك فى مقدمة ديوانه الأول ، فيقول : "ومرت الأيام يا قلبى ...مرت الأيام ، وأنا أنتقل من حب إلى حب كما ينتقل الطائر من غصن إلى غصن، ومن زهرة إلى زهرة .. حتى أصبح قلبى – يا قلبى– ينبض حباً، وروحى تتنسم حباً، ووجودى كله لا يعيش إلا بالحب، ولا يحيا إلا لكى يحب!" [2] .

ولا شك أن نزعة العاطفة والحب عند "نجا" كانت هروباً من الواقع الأليم الذى عاشه "نجا" في مراحل حياته المختلفة، ولعله سلك فى ذلك مسلك الرومانسيين الذين كانوا يفرون من عالم الناس بما فيهم من آلام وأحزان إلى عالمهم الخاص، يتغنون بالحب الذى يجدون فيه سلوة عن أحزانهم وآلامهم ، فالحب عند هؤلاء الشعراء " إنما هو جرعة تخدير للذات، إنه موضوع تشغل الذات به نفسها حتى تترسب أحزانها فى القاع، وحتى يبدو كل شئ جميلاً وساراً فى الوجود .. إنه وسيلة شفاء من الحزن المقيم" [3] .

وحياة شاعرنا مليئة بالأحزان والآلام التى سبق وتعرضنا لأسبابها عند دراسة حياته وصفاته، فكان الحب أو المحبوبة هى الحنان والرحمة التى يود الشاعر أو يستظل بها فى صحراء أحزانه الكبيرة، ولعل ذلك هو سلوك كل شعراء الرومانسية الذين يتغنون بالحب "فالحب عند الشاعر الوجدانى كاليد الرحيمة التى يرجو الشاعر أن تمتد إليه لتنتشله من وهدة الحياة وآثامها " [4] . ولم لا والشاعر يجعل حياته كلها للحب ! فقد يئس من حياة الحزن والألم، ويريد أن يجعل حياته كلها حباً، يعيش بالحب ويحيا لكي يحب– على حد تعبيره – فالحب هو ملاذه الأخير فى هذا العالم.

وأول ما يتميز به الحب عند نجا هو تلك النزعة العذرية العفيفة التى تطغى على شعره، فجاء حبه كله معبراً عن الروح العذرية التى اتسم بها الشعر العذرى، ودائماً ما كان

---

(1) ديوان "الحياة الحب" صـ36.

(2) ديوان "أيام من عمرى" المقدمة صـ10.

(3) الشعر العربي المعاصر– قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية– د/ عز الدين اسماعيل صـ306– المكتبة الأكاديمية 1994 .

(4) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر– د/ عبد القاد القط– صـ289– دارالنهضة العربية بيروت.

يفيض بمعانى اللوعة والحرقة، والشكوى و الحنين، والعذاب والشقاء وما إلى ذلك من المعاني التي عبر عنها الشعراء المحبون الملتاعون، مثل : جميل بثينة، مجنون ليلى وكُثيِّرعزة، ولولا أن" نجا" كان مؤدياً لروح العصر لظننا أننا أمام شاعر عذرى من العصر القديم، وشعر "نجا" أصدق شاهد على ذلك، انظر إلى هذه الأبيات من قصيدة "إليها" :

أين منِّى الآن وكرٌ هادئٌ ∴ حوله الجدولُ يناسبُ نُضارا؟

ملك الحبُّ كساه مطرفاً ∴ وكسته ربة الطهر شِعارا

طالما زرناه يا هندُ معاً ∴ ورجعنا منه لم نخلعْ عذارا

وغرسنا بذرةَ الحبِ به ∴ ثم عدنا فجنيناها ثمـارا

حبذا الحبُّ ملاكاً طاهراً ∴ لا يرى إثماً، ولا يبصرُ عارا [1]

فهو يعشق الحب، لكنه الحب الطاهر العفيف، البعيد عن الإثم والرذيلة، وتلك هى المعانى العذرية التى جن بها نجا حباً، وشغف بها في تجارب حبه المختلفة، فيقول" نجا" في قصيدة "اللحن الأخير" :

جُنَّ قلبي بالهوى العذريِّ والحبُّ جنون

وأنا المحرومُ أيامي شُكاة وأنين [2]

لذلك سار على درب العذريين فسما بمشاعره الفياضة تجاه محبوبته، وارتقى بعاطفته إلى درجات من الفضيلة والعفة، ولعله فى ذلك مرتبط باتجاهه الرومانسى نحو المرأة، يسلك مسلك الرومانسى، فقد أصبح الحب عند الرومانسيين أكثر من مجرد علاقة إنسانية، تجمع بين رجل وامرأة فارتقى فى رؤيتهم، ليصبح إحدى الفضائل الإنسانية.[3] البعيدة عن أى شعور بالرغبة الحسية، فأبلغ صورة تخيلها "نجا" بعد لقاء محبوبته هو عناق بين الأنامل ، فيقول :

فجُنَّ خيالي باللقاءِ وسحره ∴ وصُورَ لي أنَّى سأحظى بنائلِ

وأنَّكِ قد وافيتني في خميلةٍ.. ∴ عليها نسيجٌ من ضياء الأصائلِ

فأمسكتِ كفى بين كفيَّكِ ساعة ∴ فأسكر روحينا عناقُ الأناملِ [4]

---

(1) ديوان "ألحان الغروب" مخطوط صـ23 .

(2) ديوان "أغنيات للحب" صـ126.

(3) الرومانتيكية – د/ محمد غنيمى هلال – صـ190 – طبعة دار الثقافة ودار العودة بيروت صـ1973.

(4) ديوان "أيام من عمرى" صـ98.

فأكثر شيء قد يتخيله شاعرنا عندما يلتقى مع محبوبته –لأول مرة بعد غياب سنوات– هو تعانق بين الأنامل؛يُذهب الروح إلى عالم آخر من الخيالات والأحلام.

نعم إنها الفضيلة التى تغنى بها العذريون، وأحياها الرومانسيون، وجعلها " نجا" غاية في شعر الحب عنده، والذى يعد ديواناً خالصاً من الشعر العذرى.

هذا عن طبيعة الحب عند نجا، أو السمة الغالبة على حبه، تلك السمة العذرية العفيفة والتى مبعثها –كما بينا من قبل– تربيته الدينية، ونشأته السليمة فى أحضان أسرة تتمسك بالقيم والتقاليد الصحيحة، وجامعة أزهرية تحيى النزعة الدينية فى طلابها .

ولكن ماذا عن تجارب الحب لدى" نجا"؟ في الحقيقة إن قصائد الحب فى ديوان "نجا" لا تعبر عن تجربة واحدة، وإنما تعبر عن تجربتين، وإن شئت فقل محبوبتين عاشت كل واحدة منهما مرحلة كبيرة فى حياته، وألهمته الكثير من روائع الشعر الغزلى "العفيف" ، وسنحاول فى هذه السطور أن نتناول هاتين التجربتين لما لهما من أهمية جليلة في شعره .

أولاً: بين "فدوى طوقان" و"إبراهيم نجا" :

عرف " إبراهيم نجا" الشاعرة الفلسطينية "فدوى طوقان" وقامت بينهما علاقة حب جمعت بينهما عبر الرسائل، والقصائد الشعرية فقط، دون لقاء واحد، والحقيقة أن هذه القصة لا تخفى عن الكثيرين من نقاد الأدب العربى الحديث، بمعنى أن "قصة العلاقة بين فدوى وإبراهيم كانت معروفة لدى عدد من الأدباء المصريين، وكان من السهل معرفة هذه القصة ، لأن القصة كلها كانت لا تزيد عن مجموعة من قصائد الحب التى نشرها الشاعر"إبراهيم نجا" ونشرتها "فدوى "، وكان من غير العسير على الأوساط الأدبية التى تعرف الشاعر عن قرب وتقرأ هذه القصائد المنشورة أن تعرف مناسبتها وما وراءها من تجربة عاطفية" [1] .

وهناك الكثير من القصائد التى تجسد هذه العلاقة، والتى نشرها الشاعر، وأهداها إلى شاعرته، فضلاً عن بعض الرسائل النثرية التى تحدث عنها الأدباء.

وكما ذكرت أن هذه العلاقة لم تخرج عن إطار الرسائل المتبادلة، والقصائد الشعرية فقط ، فشاعرنا لم يلتق بمحبوبته مرة واحدة، بل " أحبها على البعد من خلال شعرها وأنها

---

(1) صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر– بين المعداوى وفدوى طوقان– للأستاذ رجاء النقاش صـ191.

أحبته على البعد من خلال شعره، وأنهما لم يلتقيا أبداً وجهاً لوجه، وإنما التقيا -إذا صح التعبير- شعراً لشعر" [1] .

لقد بدأت علاقة" إبراهيم نجا"و" فدوى طوقان" عندما أعجب بها فكتب إليها يثنى على شعرها ، ويثنى على كتابها "أخى إبراهيم" عام 1947 وتستمر هذه العلاقة وهنانة -على حد تعبير الدكتور: عبده بدوى- فى أول الأمر، ولكن الدماء لا تلبث أن تتحرك فى العروق بالشعر. [2] وتثنى الشاعرة على شعر" إبراهيم نجا" وتكتب قصيدة "الصدى الباكي" فتقول :

شعرُكَ العاتبُ كم فجَّرَ دمعي؟ كم شجاني

والنداءُ الشاعريُّ العذبُ كم هزَّ كيانـى

لو ترانى والهوى يصرح فى روحى الأسيرْ

وأنا أشدو بأشعارك فى اللَّيل الكبيـرْ

أنت روحٌ طائرٌ يشدو على كل الغصونْ

يرتوى من حُمرةِ الحبِّ ، ومن نبع الفتونْ

وأنا روحٌ سجينٌ قصَّت الدنيا جناحي

نغمى بنبيك عنِّى، عن مدى عمقِ جراحِى

والقصيدة كلها تمسح فيها على جراح الشاعر، وتذكره أن حسبها قسوة الدنيا وإعنات القضاء، ثم تداعبه لأنه قال فى إحدى قصائده أنه شاعر يشدو على كل الغصون"[3] .

ولعل ثناءها على شعره، وإعجابها به كشاعر فنان تحول بسرعة إلى حب جارف قوى -على الرغم من البعد بينهما- ولا أشك أن الشاعر كان يبحث عن روحِ رفيق، أو يد رحيمة تنتشله من أحزانه وآلامه، ونفسِ صافية تأخذه بعيداً عن آلام الواقع المحسوس، فراح يتلمس حباً يطفئ به جمرة الحرمان والقلق النفسى، كالرومانسيين الذين "يفرون إلى شعر الحب والمرأة، يطفئون به جمرة البؤس والحرمان المضطرمة في نفوسهم المتوقدة بين جوانحهم،

---

(1) المرجع نفسه صـ192.

(2) مجلة الشعر عدد أغسطس 1965 مقال للدكتور عبده بدوى صـ54 .

(3) المرجع نفسه

ويذهبون به صدى أرواحهم، ويتخذون منه غذاء يعوضون به ظلم الدهر لهم، وتحامله عليهم"[1] .

فرغبة الشاعر فى هذا الحب الذى يخرجه من صراعه بين نفسه وعالمه المحيط، ساعدت على تطور هذه العلاقة حتى بلغت درجة كبيرة من العشق والهيام، الذى يجعل شاعرنا يتغنى بمحبوبته فى أغلب ديوانه الأول "أيام من عمرى" ولا يختلف الأمر كثيراً لدى "فدوى طوقان" فأنغامها الحزينة، وأحلامها السجينة تجعلها تفر إلى روح شاعرة أخرى، لتعيش معها فى عالم من الخيالات والأوهام ، بعيداً عن سجن الدنيا، تلك الرغبة لدى "فدوى" ساعدت أيضاً على نمو هذه العلاقة وتطورها فى مراحلها المختلفة، فالشاعران قد وجد كل منهما سلوته فى الآخر، فانجرف إليه بقوة ليطفئ جمرته، ويذهب ظمأه.

وسواء كان هذا أم ذاك فإن الحب جمع بين "نجا" و "فدوى" ومرت العلاقة بينهما بمراحل مختلفة بدأت بالإعجاب والثناء، ثم الحب والهيام، ثم القلق والشك، وانتهت بالهجر والقطيعة.

والحقيقة أن الديوان الأول لنجا قد ألقى بالكثير من الظلال على هذه العلاقة وأبرز قصائده التى تصور هذه العلاقة فى مراحلها المختلفة التى أشرت إليها، هى قصيدة "رسائل ضائعة" والتى مطلعها :

وكنتُ ومن أهوى على البعد نلتقي ∴ رسائلَ حبٍّ ليس يخبو أوارُها

فكنتُ كأنّي – وهى منى بعيدةٌ– ∴ أرى وصلها يدنو، ويدنو مزارُها[2] .

وهنا يوضح لنا الشاعر طبيعة هذا الحب الذى لم يجمع بينهما إلا على صفحات المجلات التى نشرا فيها شعرهما، أو على أوراق الرسائل المتبادلة بينهما، ورغم ذلك يشعر بها قريبة منه، تصله وتبادله حباً بحب، ثم يشتد به الحب حتى يتقيد بحبها، ولا يستطيع منه فراراً فيقول :وقيَّدني حبِّي لها واستِّرقني ∴ فصرت لها عبداً وقد كنتُ سيِّدا

وكانتْ على قلبي نشيداً مرنَّماً ∴ فصارت على قلبى نشيجاً مردَّدا [3]

---

(1) مدرسة أبولو الشعرية فى ضوء النقد الحديث– د/محمد سعد نشوان صـ203– دار المعارف– القاهرة.

(2) ديوان "أيام من عمرى" صـ84.

(3) ديوان "أيام من عمرى" صـ84.

فقد كانت نشيد القلب وسلوة الفؤاد ومنى النفس، ثم أصبحت حزناً متيماً، ونشيجاً يردده قلبه الحزين فى سنوات القطيعة، وهكذا تمضى القصيدة توضح مراحل هذه العلاقة فى الفترات المختلفة.

وإن كنت بصدد الحديث عن هذا الحب، فلابد أن نمضى تجاه المحبوبة موضحين حبها لشاعرنا وكيف تعلقت به منذ أن هزَّ شعره العذب كيانها -كما ذكرت فى قصيدتها- إلى أن صار ضيفاً عزيزاً على القلب بل قلباً جديداً فى قلبها. ويذكر الدكتور "عبده بدوى" أن "هذه العلاقة الشعرية كان من ثمرتها قصائد "طمأنينة السماء" و"فى درب العمر" و "قلب يتعذب" [1] وقصيدة "الصدى الباكى" التى أشرنا إليها والتى تصور طبيعة العلاقة بين "فدوى" و"إبراهيم" فتقول فيها :

شاعري لا تقسُ فى عتبك لا تظلمْ وفائى

أنا حسبى قسوة الدنيا وإعنَّات القضاءِ [2]

فكأنها أم تدلل طفلها، فتسمية شاعرها أو تناديه "شاعرى" وتطلب منه ألا يظلمها فى عتابه لها ، فتقول في القصيدة نفسها :

أنا لم أنسَ هوىً فجَّر ألحانى وشعري

أنا لم أنسَ هوىً رفَّتْ به أيامُ عمري

أنا أنسى كيف ؟ لا يا حلمَ قلبي يا نجيِّ

لا ومن ألَّف روحينا على الحبِّ النقيِّ [3]

فهي ما زالت على عهد الحب مع شاعرها ، ولم تنس هواه الذى تغنت به طول عمرها، وتتعجب كيف تنسى ذلك الحب، وكيف تضيِّع هذا العهد. وهل تضيِّع "فدوى" حباً أدفأ قلبها، وغير روحها، وملأ حياتها، ولعل القصيدة التى لم تنشرها فى دواوينها، والتى مطلعها :

أحبائى فى مصرَ ماذا حالكمُ

فصنيعُ عهدى عندكم وزمامِى

---

(1) مجلة الشعر عدد أغسطس 1965 صـ55.

(2) الأدب العربى المعاصر فى فلسطين من 1860-1960 - د/ كامل السوافيرى - صـ173 - دار المعارف.
(3) الأدب العربي المعاصر في فلسطين- د / كامل السوافيرى صـ173.

تلقى كثيراً من ظلال الأسى على هذه العلاقة. [1]

وفى شعر" إبراهيم نجا" الكثير من القصائد التى تصور لنا هذا الحب الكبير بين الشاعر ومحبو بته، ففي ديوان" أيام من عمري" قصائد : "اذكريني"، "على الشاطئ" ،"رسائل ضائعة" ،"جاء الربيع" ،"قصة شريد" و"لا تسألينى" ،"صارحيني" ،"بلا أمل" و"ضراعات"[2]

التي يقول فيها :يا من أحنُ إليها وهى نائيةٌ ∴ ومن ترفرف روحى حول مَغناها

ومن بعثتُ لها قلبى لتبصرهُ ∴ دمعاً فتعرف سرَّ الدَّمعِ عيناها

ومن جعلتُ حياتي كلَّها نغماً ∴ من أجلها فبكانى حين وافاها

رحماكِ ما أنا إلا نسمة خطرت ∴ على صباك وحيته فحياها [3]

ما أجمل أن ترفرف روح الشاعر حول مغنى محبوبته!، وما أروع أن يصور قلبه دمعاً لتبصره فتعرف عيناها سر الدموع!!، وكيف جعل حياته كلها نغماً من أجلها فبكاه حين وافاها. [4]

ويشعر بقسوة الدهر التى أبعدت عنه حبيبته، فيقول فى قصيدة "بلا أمل":

ويا من رمانى الدَّهرُ فيها بنأيها ∴ وضنَّ على قلبى بسحر التَّواصلِ

ومن جُنَّ قلبي في هواها صبابةً ∴ وإن كان عقلى لم يزلْ شبه عاقلِ

هبينى أضعتُ العمرَ فيكِ، ألم أفدْ ∴ من الشعر مجداً غيرَ آفلِ [5]

فقد ضيَّع عمره في حبها ولكنه خلف مجداً أدبياً عظيماً، حيث ألهمته بحبها الشعر العظيم الذى خلفه ليكون خالداً لا يفنى. ويقف على الشاطئ ، ويناجيها فى موطنها البعيد، ويناديها بـ "أختاه" و "ليلى الثانية" ، فيقول في قصيدته "على الشاطئ" :

أنت يا أحلامُ روحى النائيه ∴ يا ضياءَ القلبِ في دنيا الظَّلامْ

اسمعى ألحانَ قلبى الباكيه ∴ فهي حبٌ وحنينٌ وهيامْ

---

(1) مجلة الشعر– د/عبده بدوى – عدد أغسطس 1965 صـ57.

(2) دراسات في النقد الأدبي– د/ كامل السوافيرى– صـ257 – مكتبة الوعى العربى– القاهرة.

(3) ديوان "أيام من عمرى" صـ91.

(4) دراسات فى النقد الأدبى – د/ كامل السوافيرى صـ258.

(5) ديوان "أيام من عمرى" صـ98.

أنت يا أختاه ليلى الثانيهْ ∴ وأنا قيسٌ وقلبى مستهامْ [1]

ويذكر رسائلها إليه فيقول :

لست أنسى كلماتٍ حانيهْ ∴ في رسالاتك أملاها الغرامْ

ويبعث سلاماً لها يفيض حرارة وشوقاً، فيقول:

يا منى الرُّوحِ سلاماً في التَّنائى ∴ من محبٍ هاجه الشوقُ إليكِ [2]

ويبعث الشاعر لمحبوبته بمجموعة رسائل شعرية ضمَّها ديوانه الثاني "الحياة الحب" ففى رسالته الأولى يقول: إليك بعثتُ ألحاني ∴ وفيكِ نظمتُ أشعارِى

ليعلمَ قلبكِ الحاني ∴ بأحلامي وأسراري

وينادى محبوبته لعلها تجيب نداء المحب العاشق، ليقضى حياته أو ما تبقى منها بجوارها فيقول : تعالى يا منى عمرى ∴ ويا أحلامَ أيامِى

تعالى يا هوى روحى ∴ ويا روحَ الهوى السامِى [3]

وسوف نتناول هذه الرسائل الشعرية تفصيلاً عند الحديث عن الرسائل المتبادلة بينهما. وتقوى العلاقة بين الشاعر ومحبوبته، وتحاول "فدوى" فى زيارتها الأولى لمصر أن تزور "إبراهيم نجا" –كما روى الشاعر للأستاذ :رجاء النقاش– ولكنها ذهبت إليه فى المدرسة التى كان يعمل بها. [4] والتى توجد تحت رقم 48 بشارع محرم بك بالاسكندرية، حيث مدرسة محرم بك الإعدادية للبنات والتى عمل فيها "نجا" فترة ، ولكن الشاعرة لم تجد إلا قفلاً كالوحش. وإذا كلاهما لا يهتدى إلى الآخر ،وتقول في ذلك "لو كنت وحدى لنفضت القطر المصرى كله باحثةً عنك"، وإذا أرق القصائد بعنوان "قصة موعد"[5] فتقول :

هنا في جوانحي الخافِقهْ

هنا ملءُ مهجتي العاشقهْ

نما أملُ العمر يا شاعري

---

(1) المصدر نفسه صـ82 .

(2) المصدر نفسه صـ82 .

(3) ديوان "الحياة الحب" للشاعر إبراهيم نجا صـ117.

(4) صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر ، رجاء النقاش ، صـ203.

(5) مجلة الشعر – عدد أغسطس 1965 – صـ55 .